احتمالية المتكلم فى القرآن الكريم

دكتور/ عماد حسن مرزوق

مدرس الدراسات الإسلامية

كلية الآداب – جامعة المنوفية

احتمالية المتكلم فى القرآن الكريم

دكتور/ عماد حسن مرزوق

مدرس الدراسات الإسلامية

كلية الآداب – جامعة المنوفية

يحاول البحث أن يكشف عن ظاهرة نرى فيها – فى بعض المواضع فى القرآن الكريم – القول الواحد تتراوح نسبته إلى غير متكلم واحد، بحيث يجوز نسبة هذا القول إلى كل واحد من المتكلمين على السواء، مما يستلزم القول بتعددية المتكلم فى بعض المواضع من القرآن الكريم، أى قبول احتمالية أن يكون عدد من المتكلمين قد تكلموا جميعاً بالقول الواحد نفسه.

وإذا كان الأصل فى القول الواحد أن يصدر عن متكلم واحد، فإن (احتمالية المتكلم) تعد خروجاً عن هذا الأصل، وهى ظاهرة لم تفرد بالبحث – وإن كان قد تم تناول بعض مباحثها بصورة متفرقة فى مواضع من التفاسير والدراسات القرآنية– تأتى أهمية دراستها من ارتباطها الوثيق بتفسير الآيات والوقوف على دلالاتها. إذ إن اختلاف المتكلم يترتب عليه – بلا شك – اختلاف المعنى وتفسيره.

أساليب القرآن فى عرض أقوال المتكلم

إن تحديد المتكلم له أثره فى تفسير المعنى، وللقرآن الكريم أساليبه فى عرض الأقوال ونسبتها إلى قائليها، ففى أحيان كثيرة يصدر القرآن القول بالفعل (قال) للدلالة على قول واحد لمتكلم واحد، كما فى قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ

لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[1]

وقد يكرر القرآن الفعل (قال) والمتكلم واحد والقول متصل لم يفصل بفاصل كما فى قوله تعالى (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا)[2].

وكما فى قوله تعالى حكاية عن صاحبة سبأ (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ)[3]

وقد يورد القرآن القول دون استخدام (قال) اعتماداً على السياق كما فى قوله تعالى (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ)[4]. فقوله (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا) من كلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم، بالرغم من عدم ذكره قبلها، بقرينة قوله فى ختام القول (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) وتقدير الآية: قل يا محمد قد جاءكم بصائر من ربكم.

وأظهر منه قوله تعالى (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[5]

فهذه ثلاثة أساليب قرآنية فى عرض الأقوال، يستخدم الأول الفعل (قال) مرة واحدة لعرض قول متكلم واحد، ويستخدم ثانيها تكرار الفعل (قال)

لعرض قول متكلم واحد أيضاً، ويستغنى الأسلوب الثالث تماما عن الفعل (قال) لعرض قول متكلم واحد كذلك، فهل ثمة أسلوب رابع فى عرض الأقوال؟

تراوح القول الواحد فى القرآن الكريم بين غير متكلم

ذهب جمع من العلماء إلى أن القرآن قد يورد قولاً منسوباً إلى متكلم ثم يتبعه بقول آخر لمتكلم آخر دون فصل بين القولين بالفعل (قال) أو غيره، قال الفراء (ت ٢٠٧هـ) " وقوله :(يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) فقوله (يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ) من الملأ (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) من كلام فرعون."[٦]

وقد اهتم الفراء بالتخريج اللغوى لهذا الانتقال من قول إلى قول وعده من قبيل الحكاية فقال "جاز ذلك على كلامهم إياه، كأنه لم يحك وهو حكاية. فلو صرّحت بالحكاية لقلت: يريد أن يخرجكم من أرضكم، فقال: فماذا تأمرون.

ويحتمل القياس أن تقول على هذا المذهب: قلت لجاريتك قومى فإنى قائمة تريد: فقالت: إنى قائمة"[٧].

وأشار الفراء إلى ندرة هذا النمط من التعبير فى الشعر العربى، وإن كان قد أورد له شاهدا من شعر عنترة فقال "وقلَّما أتى مثله فى شعر أو غيره، قال عنترة:

الشاتَمِيْ عِرْضى ولم أشتِمْهُما والناذرَيْنِ إذا لقيتهما دمى

فهذا شبيه بذلك؛ لأنه حكاية وقد صار كالمتصل على غير حكاية؛ ألا ترى أنه أراد: الناذرَين إذا لقينا عنترةَ لنقتلنه، فقال: إذا لقيتهما، فأخبر عن نفسه،

وإنما ذكراه غائباً. ومعنى لقيتهما: لقيانى"[٨].

لعل ما استوقف الفراء فى هذه الآية ورود السؤال نفسه (فماذا تأمرون) على لسان فرعون فى سورة الشعراء فى سياق مشابه لما جاء فى سورة الأعراف، ففى سورة الأعراف (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ)[٩]، وفى سورة الشعراء (قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ)[١٠]، ولا خلاف أن قوله (فماذا تأمرون) فى سورة الشعراء من كلام فرعون للملأ مستشيراً إياهم كما هو ظاهر الآيات حيث تبدأ بقوله (قال للملأ) بخلاف الآيات فى سورة الأعراف التى تذكر أن الكلام للملأ بدلالة قوله (قال الملأ).

إن ورود هذا السؤال فى سورة الشعراء على لسان فرعون قد يكون هو الذى رجح عند الفراء – وعند طائفة أخرى بعد ذلك من المفسرين– أن يكون هو المتكلم نفسه بالسؤال فى سورة الأعراف، لا سيما وقد جاء فى عقب السؤال رد من الملأ (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) مما يؤكد على أن السائل غير المجيب، بالإضافة إلى أن هذا الرد كان مماثلاً لرد الملأ كذلك على سؤال فرعون فى سورة الشعراء.

وعلى هذا فقد ذهب الفراء – وغيره – إلى أن الآيات حوار بين الملأ وفرعون حيث يبدأ الملأ بالحديث عن موسى مما يستدعى أن يسألهم فرعون (فماذا تأمرون) ومن ثم يشير عليه الملأ بأن يستعين بالسحرة.

وقد أشار ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) إلى هذا الأسلوب القرآنى مستشهداً بالآية القرآنية نفسها التى ذكرها الفراء من قبل، مضيفاً إليه ثلاثة مواضع أخرى من

القرآن فقال " ومنه أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان نحو قوله (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً)، ثم قال: (وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ)[11] ، وليس هذا من قولها، وانقطع الكلام عند قوله:(أَذِلَّةً)، ثم قال الله تعالى: (وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ).

وقوله: (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)[12]، هذا قول المرأة، ثم قال يوسف: (ذلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ)[13] ، أي ليعلم الملك أني لم أخن العزيز بالغيب.

وقوله: (يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا)، وانقطع الكلام، ثم قالت الملائكة: (هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)[14]

وقوله حكاية عن ملأ فرعون: (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ)، هذا قول الملأ، ثم قال فرعون: (فَماذا تَأْمُرُونَ)[15] "[16].

رأى الفراء وابن قتيبة أن القرآن الكريم قد يورد قولين لمتكلمين دون أن يفصل بينهما بفاصل.

لكن لماذا لا بد أن نفترض أن القول الثانى فى الشواهد التى أوردها الفراء وابن قتيبة هى لمتكلم ثان غير المتكلم الأول؟ لماذا لا يكون القول الثانى هو من كلام المتكلم الأول أيضاً؟

إلى مثل هذا الرأى ذهب جمع من العلماء أيضا.

ففى الآية التى عرض لها الفراء من سورة الأعراف ذهب جمع من المفسرين[17] إلى أن الكلام كله بما فيه (فماذا تأمرون) لمتكلم واحد هو الملأ، اعتمادا على أن بدء الكلام وختامه لهم وأنه لم يجر ذكر فرعون فى الآيات.

وعلى هذا الرأى فإن هذا السؤال إما أن يكون سؤال تشاور للملأ فيما بينهم، وإما أن يكون سؤالاً من الملأ لفرعون، وعلى كلا التقديرين فقد أعقب

السؤال خطاب منهم لفرعون يشيرون عليه بأن يستعين بالسحرة.

وعلى هذا النحو فإن الآيات الثلاث الأخرى التى ذكرها ابن قتيبة يمكن أن تكون لمتكلم واحد وليس لمتكلمين كما ذكر.

وعلى ذلك فيكون قوله تعالى (وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ)[١٨] من كلام صاحبة سبأ نفسها – وليس من كلام الله سبحانه – وقد قصدت أن تقرر أن سليمان – عليه السلام– وجنوده شأنهم – حاشاهم – شأن الملوك الذين يفسدون المدن إذا دخلوها.

ويكون قوله تعالى (ذلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ)[١٩] من كلام امرأة العزيز نفسها، لا من كلام يوسف عليه السلام .

ويكون قوله تعالى (هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)[٢٠] من كلام الكافرين أنفسهم، لا من كلام الملائكة كما ذهب ابن قتيبة، ولا من كلام الله كما ذهب غير ابن قتيبة.

وإذا كان الأصل فى القول أن يكون لمتكلم محدد فإن هذه الآيات جاءت لتقدم أسلوباً جديداً يتراوح فيه القول بين غير متكلم، بحيث يمكن نسبة القول إلى متكلم واحد، كما يمكن نسبة القول نفسه إلى متكلم آخر، أو عدد من المتكلمين، وكما ظهر هذا النمط من التعبير فى الآيات الأربع التى تم مناقشتها فإنها تظهر كذلك فى مواضع أخرى من القرآن.

مواضع احتمالية المتكلم فى القرآن الكريم

من مواضع احتمالية المتكلم فى القرآن الكريم:

الموضع الأول: قوله تعالى (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[٢١]

فقوله (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) تراوح بين متكلمين[٢٢]

الأول: الله – سبحانه وتعالى– ردا على آكلى الربا، بأن بين لهم أنه أحل البيع وحرم الربا.

الثانى: الذين يأكلون الربا، ويكون هذا القول منهم تعجبا ممن يحرم الربا ويقول إن الله أحل البيع وحرم الربا بالرغم من تساويهما فى زعمهم.

الموضع الثانى: قوله تعالى (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[٢٣].

فقوله (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى) تراوح بين متكلمين[٢٤].

الأول: الله سبحانه وتعالى ويكون هذا القول منه إما تعقيباً على تحسرها لولادتها الأنثى حيث أخبر المولى سبحانه بأن الذكر الذى كانت قد طلبته ما كان له أن يحرز من الشأن ما قدره الله لهذه الأنثى التى رزقها الله إياها. وإما أن يكون تفسيراً منه – سبحانه – لتحسرها، حيث بين أن الذكور ليسوا كالإناث فى الخدمة.

الثانى: امرأة عمران، ويكون هذا القول منها إما على سبيل التحسر لأنها لن تستطيع أن تفى بنذرها، وإما على سبيل التسليم لله فى مشيئته بأن رزقها الله أنثى بدلا من الذكر الذى طلبته.

الموضع الثالث: قوله تعالى (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آَمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آَخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[٢٥]

فقوله (أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ) قولان: الأول (أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ)، والثانى (أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ) وهذان القولان وإن كانا متصلين فإن احتمالية المتكلم فيهما متعددة[٢٦]

فقد يكون القولان كلاهما لليهود

وقد يكون القولان كلاهما لله عز وجل

وقد يكون القول الأول لليهود والثانى لله عز وجل.

وقد يكون القول الأول لله عز وجل والثانى لليهود.

وعلى ذلك فقوله (أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ) تراوح بين متكلمين

الأول: الله عز وجل مخاطباً هذه الطائفة من أهل الكتاب ويكون المعنى عند ذلك توبيخاً من الله عز وجل لعدم إيمانهم حسداً منهم أن يؤتى أحد مثل ما آتاهم الله من قبل

الثانى: هذه الطائفة من أهل الكتاب يوصى بعضهم بعضا بعدم الإيمان أى لا تؤمنوا خشية أن يقال إن الله قد آتى غيرهم مثل ما آتاهم. " يعني أن ما بكم من الحسد والبغي أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم."[٢٧] أو يكون التقدير " لأن لا يوتى أحد مثل ما أوتيتم وحذف حرف النفي بعد لام التعليل ، ظاهرة ومقدرة، كثير في الكلام، ومنه قوله تعالى (يُبين اللَّه لكم أن تضلوا)[٢٨] أي لئلاّ تضلوا."[٢٩]

أما قوله تعالى (أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ) فقد تراوح أيضا بين متكلمين

الأول: أهل الكتاب يوصى بعضهم بعضا ويكون المعنى ولا تؤمنوا بأن يحاجُّوكم عند ربكم؛ لأنكم أصح ديناً منهم، فلا يكون لهم الحجة عليكم عند الله.
الثانى: الله عز وجل رداً على أهل الكتاب " أي مرادكم التنصل من أن يحاجوكم أي الذين آمنوا عند الله يوم القيامة، فجمعتم بين الإيمان بما آمن به المسلمون، حتى إذا كان لهم الفوز يوم القيامة لا يحاجونكم عند الله بأنكم كافرون، وإذا كان الفوز لكم كنتم قد أخذتم بالحزم إذ لم تبطلوا دين اليهودية."[٣٠]

الموضع الرابع: قوله تعالى (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ)[٣١]
فقوله (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) تراوح بين متكلمين[٣٢]

الأول: فرعون مخاطباً الملأ، بدلالة تكرار هذا السؤال فى سورة الشعراء على لسان فرعون كما مر، وبدلالة ما تلاه من قول الملأ (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) فهو رد على سؤال فرعون. وعلى تقدير هذا المتكلم فإن الآيات حوار بين الملأ وفرعون حيث يبدأ الملأ بالحديث عن موسى مما يستدعى أن يسألهم فرعون (فماذا تأمرون) ومن ثم يشير عليه الملأ بأن يستعين بالسحرة.

الثانى: الملأ ، بدلالة أن الكلام فى البدء لهم وفى الختام لهم، ولم يرد كلام لفرعون فى الآيات. وعلى هذا التقدير فإن هذا السؤال إما أن يكون سؤال تشاور للملأ فيما بينهم، وإما أن يكون سؤالاً من الملأ لفرعون، وعلى كلا التقديرين فقد أعقب السؤال خطاب منهم لفرعون يشيرون عليه بأن يستعين بالسحرة.

الموضـع الخـامس: قولـه تعـالى (وَإِذْ أَخَـذَ رَبُّـكَ مِـنْ بَنِـي آَدَمَ مِـنْ ظُـهُورِهِمْ ذُرِّيَّـتَهُمْ وَأَشْـهَدَهُمْ عَلَـى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِـرَبِّكُمْ قَـالُوا بَلَـى شَـهِدْنَا أَنْ تَقُولُـوا يَـوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)[٣٣]

فقوله تعالى (شَهِدْنَا) تراوح بين متكلمين[٣٤]

الأول: الله والملائكة ويكون المعنى شهدنا على الذرية أنهم أقروا بربوبية الله.

الثانى: الملائكة وحدهم.

الثالث: الذرية و المعنى شهدنا على أنفسنا أو شهد بعضنا على بعض.

الموضع السادس: قوله تعالى (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[٣٥]

فقوله (وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) تراوح بين متكلمين[٣٦]

الأول : الله عز وجل تعقيبا على كلام الشيطان.

الثانى: الشيطان.

الموضع السابع: قوله تعالى (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ)[٣٧]

فقوله (وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ) تراوح بين أربعة متكلمين[٣٨]

الأول: الله عز وجل والمراد ذمهم .

الثانى :الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والمراد إذن الرسول لهم بالقعود غضبا عليهم ووعيدا لهم عندما طلبوا منه ذلك.

الثالث: قول بعض المنافقين لإخوانهم، يوصى بعضهم بعضا بالقعود وعدم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الرابع: الشيطان يوسوس لهم.

الموضع الثامن: قوله تعالى (قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ)[٣٩]

قوله (أَسِحْرٌ هَذَا) يتراوح بين متكلمين[٤٠]

الأول: قوم فرعون يسألون سؤالاً تعجبياً.

الثانى: موسى عليه السلام يرد بسؤال إنكاري على محذوف من كلام لقوم فرعون تقديره (هذا سحر).

الموضع التاسع: قوله تعالى (قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ)[٤١]

قوله (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) يتراوح بين متكلمين[٤٢]

الأول: امرأة العزيز إذ الكلام لها وهى التى لا تبرئ نفسها، وتقر بأن النفس أمارة بالسوء، وعلى هذا التقدير يكون ضمير الغائب فى (أخنه) عائداً على يوسف عليه السلام.

الثانى: يوسف عليه السلام إذ هو الذى لم يخن بالغيب، وعلى هذا التقدير يكون ضمير الغائب فى (أخنه) عائداً على العزيز.

الموضع العاشر: قوله تعالى (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ)[٤٣]

فقوله (ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) تراوح بين متكلمين[٤٤]

الأول: إخوة يوسف عليه السلام طلبا منهم لزيادة كيلهم وقد أرادوا أن الحصول عليه يسير أو أنه يسير على الملك أن يعطيهم إياه.

الثانى: يعقوب عليه السلام وقد أراد أن كيل بعير شيء يسير لا يخاطر لأجله بولده.

الموضع الحادى عشر: قوله تعالى (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٤٥].

فقوله (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) تراوح بين متكلمين[٤٦]

الأول: الله عز وجل تعقيبا على كلام الشيطان.

الثانى: الشيطان.

الموضع الثانى عشر قوله تعالى (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)[٤٧]

فقوله (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) تراوح بين متكلمين[٤٨]

الأول: الله عز وجل يبين عدد السنين التى لبثها الفتية فى كهفهم.

الثانى: أهل الكتاب، على خلاف بين المفسرين القائلين بأنه من كلام أهل الكتاب.

حيث ذهب بعضهم إلى أن القول كله من كلام أهل الكتاب جميعا، وذهب بعض المفسرين إلى أن طائفة من أهل الكتاب قالوا (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ)، وطائفة أخرى من أهل الكتاب (ازْدَادُوا تِسْعًا) على هذا العدد من السنين، فهذا الكلام حكاية لخلاف أهل الكتاب فى عدد السنين .

الموضع الثالث عشر: قوله تعالى (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)[٤٩]

فقوله (أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) تراوح بين متكلمين[٥٠]

الأول: الملك الذى كان معها أو جبريل عليه السلام .

الثانى: المسيح عليه السلام.

الموضع الرابع عشر: قوله تعالى (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا

لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى)[٥١]

تراوح قوله (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) بين متكلمين[٥٢]

الأول: السحرة لأن الكلام من أوله لهم .

الثانى: الله عز وجل.

الموضع الخامس عشر: قوله تعالى (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ)[٥٣]

تراوح قوله (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) بين متكلمين[٥٤]

الأول: الله عز وجل تصديقاً لكلام صاحبة سبأ فيما أخبرت قومها به من حال الملوك إذا دخلوا قرية

الثانى: صاحبة سبأ والجملة على ذلك إما تأسيس حيث تخبر قومها أن سليمان – عليه السلام – شأنه شأن الملوك وفعله فعلهم أو تأكيد منها على قولها (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً)

الموضع السادس عشر: قوله تعالى (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)[٥٥]

تراوح قوله (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) بين ثلاثة متكلمين[٥٦]

الأول: سليمان عليه السلام مخبراً عن علمه وإسلامه قبل صاحبة سبأ، فالهاء فى (قبلها) تعود على صاحبة سبأ.

الثانى: قوم سليمان عليه السلام.

الثالث: صاحبة سبأ تذكر أنها علمت الحق وأسلمت قبل أن ترى آية نقل عرشها، فالهاء فى (قبلها) تعود على آية نقل العرش.

الموضع السابع عشر: قوله تعالى (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)[٥٧]

تراوح قوله (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) بين أربعة متكلمين[٥٨]

الأول: الله عز وجل.

الثانى: المؤمنون يردون على الكافرين.

الثالث: الملائكة ترد على الكافرين.

الرابع: الكافرون الذين بعثوا من مرقدهم، قالوا ذلك تحسراً وندماً و تصديقاً من أنفسهم عندما عاينوا ما كانوا به يكذبون.

الموضع الثامن عشر: قوله تعالى (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)[٥٩]

فقوله تعالى (إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ) تراوح بين متكلمين[٦٠]

الأول: مالك.

الثانى: الله عز وجل.

الموضع التاسع عشر: قوله تعالى (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ)[٦١]

فقوله (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) تراوح بين متكلمين[٦٢]

الأول الله عز وجل تعظيما للأمر كقوله تعالى (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ)[٦٣] وإخباراً عن دنو هذا اليوم.

الثانى: الناس يصفون ما هم فيه من الشدة.

الموضع العشرون: قوله تعالى (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ)[٦٤]

تراوح قوله (وَازْدُجِرَ) بين متكلمين[٦٥]

الأول: الله عز وجل يخبر أن قوم نوح زجروه عن دعوته.

الثانى: قوم نوح يذكرون أن نوحاً – عليه السلام – مجنون استعر جنونه.

الموضع الحادى والعشرون: قوله تعالى (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي)[٦٦]

تراوح قوله (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) بين متكلمين[٦٧]

الأول: الله عز وجل.

الثانى: الملائكة.

آليات احتمالية المتكلم فى القرآن الكريم

إذا أمكننا استخلاص الآليات المستخدمة فى (تعددية المتكلم) فى المواضع السابقة التى تنبه لها المفسرون وأشاروا إليها، فإنه يمكننا فى خطوة تالية عن طريق تتبع تلك الآليات فى القرآن الكريم التنبه إلى وجود التعددية فى مواضع أخرى مشابهة استخدمت هذه الآليات نفسها، ومن ثم تفسير تلك المواضع تفسيراً جديداً غير مسبوق، وإن لم ينص عليه السابقون.

فمن تلك الآليات ما يلى.

أولا: الجملة الاعتراضية

حذف الفعل الدال على القول فى بعض المواضع يجعل وجود القول فى صورة جملة اعتراضية بين قولين، مما يؤدى إلى تعددية المتكلم حيث يمكن

حمل القول على متابعة كلام المتكلم الأول، كما يمكن حمله على كلام غيره، حيث تسوغ آلية الجملة الاعتراضية ذلك، كما فى قوله تعالى(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[٦٨]

وكما فى قوله تعالى (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[٦٩] حيث بدأت الآية بذكر ما قالته امرأة عمران مصدراً بالفعل (قالت) مما يدل على نسبة القول إليها بصورة قاطعة، وختمت الآية كذلك بقول لامرأة عمران تذكر فيه تسمية ابنتها بمريم، وإعاذتها إياها بالله من الشيطان الرجيم، وفى أثناء قول امرأة عمران جاء قوله تعالى (والله أعلم بما وضعت) تعقيبا من الله عز وجل على قولها[٧٠]، ولما كان قوله تعالى (وليس الذكر كالأنثى) ورد تاليا لهذا التعقيب، وكان وارداً فى الوقت نفسه بين بدء كلام امرأة عمران وختامه، فقد احتمل أن يكون استكمالاً للتعقيب الإلهى ويكون (والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى) تعقيباً واحداً متصلاً لله عز وجل[٧١]، واحتمل كذلك أن يكون (وليس الذكر كالأنثى) من كلام المرأة حيث إن الآية فى مجملها لا تخرج عن قولها بدءاً وختاماً فلم يبعد أن يكون هذا القول كذلك من كلامها.

وكذلك قوله تعالى (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ

رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[٧٢]

فالكلام فى البدء لطائفة من أهل الكتاب ثم جاء الأمر الإلهى (قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ) ومن ثم فقد احتمل أن يكون قوله (أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ) منسوبا إلى المتكلم الأول وهم أهل الكتاب، أو المتكلم الثانى وهو الله عز وجل أو أن يكون بعضه منسوباً إلى المتكلم الأول وبعضه منسوباً إلى المتكلم الثانى

وكما فى قوله تعالى (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ)[٧٣]

وكذلك فى قوله (قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ)[٧٤]

ثانيا: تعميم الفاعل

لتعميم الفاعل أساليب مختلفة فمن ذلك:

بناء الفعل (قال) للمجهول حيث يسمح باحتمالية أن يكون القائل عدد من المتكلمين كما فى قوله تعالى (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ)[٧٥]

ومن أساليب تعميم الفاعل إضماره مع عودته على مذكور محتمل كما فى الفعل (وَأُوتِينَا) من قوله تعالى (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)[٧٦]

وكما فى قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)[٧٧]

وكما فى قوله تعالى (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)[٧٨]

ومن أساليب تعميم الفاعل إضماره دون أن يعود الضمير على مذكور سابق، كما فى الفعل (فناداها) فى قوله تعالى (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)[٧٩]

ومن أساليب تعميم الفاعل كذلك استخدام اسم موصول دال على العموم مثل (مَن) كما فى الآية نفسها فى قراءة (فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتِهَا)

ثالثا: الابتداء بالقول دون ذكر المتكلم

وذلك مثل قوله تعالى (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي)[٨٠]

وقد يكون الابتداء باستخدام الجملة الاستئنافية كما فى قوله تعالى (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)[٨١]

وقد يكون هذا الابتداء مصدرا بأسماء الإشارة كما فى قوله تعالى (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)[٨٢]

وقوله تعالى (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ

مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ)[٨٣]

و قوله تعالى (قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ)[٨٤]

وقد يكون الابتداء مصدراً بضمير الشأن كما فى قوله تعالى (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى)[٨٥]

رابعا: التذييل

والمراد بالتذييل ختام القول بما يفيد التأكيد على معنى الكلام السابق، وإضافة معنى ملحق به، كما فى قوله تعالى (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[٨٦]

وقوله تعالى (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ

وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٨٧]

وقوله تعالى (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ)[٨٨]

وقولـه تعالى (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ)[٨٩]

وقوله تعالى (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ)[٩٠]

موقف المفسرين من احتمالية المتكلم فى القرآن الكريم

كيف قرأ المفسرون الآيات التى احتملت تعدد المتكلم ؟ وما أثر ذلك فى التفسير ؟

لكى نجيب على هذا نكتفى بعرض نموذج واحد من المواضع السابقة لنرى كيف تعامل معها المفسرون، ففى قوله تعالى (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[٩١] اختلف المفسرون فى تحديد المتكلم فى قوله (وليس الذكر كالأنثى)، واستطاعوا أن يطوعوا الأساليب اللغوية المختلفة لتقرير هذا الاختلاف، والخروج بتفاسير مختلفة كذلك بطبيعة الحال.

فإذا كان القول منسوبا إلى امرأة عمران – كما ذكر الطبرى – كان ذلك منها " اعتذارا إلى ربها مما كانت نذرت في حملها فحررته لخدمة ربها (وليس الذكر كالأنثى) لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثى

لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدْس والقيام بخدمة الكنيسة، لما يعتريها من الحيض والنفاس"[٩٢] وعلى ذلك التفسير تكون اللام للجنس.

وذهب الجاوى إلى جواز أن يكون المتكلم فى الآية أم مريم غير أنه رأى أن المعنى ليس تحسرا واعتذارا وإنما "هذا الكلام يدل على أن حنة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله، عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه."[٩٣]

ويختلف التفسير إذا حمل هذا القول على أنه من كلام الله تعالى – كما ذهب الزمخشرى – إذ يكون المعنى عندئذ مشتملا على تعظيم شأن ذلك المولود وإن كان أنثى " ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد."[٩٤]

وذهب ابن جزى إلى أن القول إذا نسب إلى الله يحتمل أن يكون المعنى " ليس الذكر كالأنثى في خدمة المساجد؛ لأن الذكور كانوا يخدمونها دون الأناث "[٩٥]

وقد استوقف المفسرون فى الآية تقديم الذكر على الأنثى وحاولوا أن يستنبطوا من هذا التقديم ما يؤيد رأيهم فى نسبة الكلام إلى قائله، أما على الرأى القائل بأن المتكلم هو الله فلا إشكال فى التقديم و يظل الكلام على ظاهره ولا قلب فيه.

وأما على الرأى القائل بأن المتكلم هو أم مريم فقد علل السمين الحلبى ذلك بقوله " وكان سياق الكلام على هذا يقتضى أن يدخل النفي على ما استقر وحصل عندها وانتفت عنه صفات الكمال للغرض المقصود منه، فكان التركيب: وليس الأنثى كالذكر، وإنما عدل عن ذلك لأنها بدأت بالأهم بما

كانت تريده. وهو المتلجلج في صدرها والحائك في نفسها فلم يجر لسانها في ابتداء النطق إلا به فصار التقدير: وليس جنس الذكر مثل جنس الأنثى لما بينهما من التفاوت فيما ذكر."[٩٦]

تكشف لنا هذه الآراء المختلفة حول الآية عن قابلية الآية للتفسيرات المختلفة من جهة ، واستثمار المفسرين لهذه القابلية من جهة أخرى مما يذكرنا بالنص المنفتح ونظريات القارئ[٩٧]

قد يرى البعض أن ذلك لا يؤدى إلى إشكال، فالقرآن يتسع لاختلاف التفسيرات، وهو حمال ذو وجوه، وسواء أكان القائل (وليس الذكر كالأنثى) هو الله أم كانت امرأة عمران فالمعنى لا يتعارض، بل قد يكون القرآن قد عمد إلى تلك الاحتمالية لتحميل الجملة بغير معنى، وجعل الكلام يتسع ليصل إلى مرام متعددة متباعدة بعبارة واحدة موجزة مما يعد ضربا من ضروب البلاغة.

وذا كان هذا التحليل لهذه الظاهرة مقبولاً فى عدد من المواضع التى تكون فيها التفسيرات متنوعة لكنها غير متعارضة فإنه يصعب تفسير هذه الظاهرة فى بعض الآيات التى يؤدى اختلاف المتكلم فيها إلى تعارض التفسير وليس اختلافه وحسب.

ففى قوله تعالى (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)[٩٨] يؤدى الاختلاف حول تحديد المتكلم إلى تعارضات فى التفسير بحيث لا يمكن الجمع بينها فإما أن يكون القائل (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) هم أهل الكتاب ثم نفى الله عز وجل كلامهم بقوله (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ

بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)

أو يكون القائل (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) هو الله عز وجل نفسه رداً على سؤال أهل الكتاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلى هذا فتحديد مدة لبث أهل الكهف سوف يختلف باختلاف المتكلم فإما أن يكون الله عز وجل نفى بقاءهم هذه المدة كما ادعى أهل الكتاب، أو يكون الله عز وجل يقرر بقاءهم هذه المدة رداً على سؤال أهل الكتاب، فالقولان متعارضان ينفى أحدهما الآخر، ولا يمكن الجمع بينهما[٩٩].

إن البحث اللغوى أو الروائى لا يستطيع الإجابة عن هذا الإشكال بصورة حاسمة، وإنما على المفسر أن يلتمس للإجابه عنه سبيل البحث التاريخى، بالرجوع إلى تاريخ هذه القصة عند أهل الكتاب أنفسهم لكى يمكنه تحديد إذا ما كان قوله (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) من آراء أهل الكتاب المنقولة عنهم أم لا، فإذا ثبت أنها من آرائهم فعند ذلك يترجح القول بأن المتكلم هم أهل الكتاب، أما إذا ثبت أن أهل الكتاب لم يرد عنهم تاريخيا هذا الرأى فلا شك عند ذلك أن المتكلم فى هذه الآية هو الله عز وجل.

تعد رواية السريانى يعقوب (جيمس) السروجى (٤٥١م- ٥٢١م) المعروفة بقصة (النيام السبعة) أقدم الروايات التاريخية لقصة أهل الكهف

وتحدد الرواية السريانية أن أهل الكهف دخلوا كهفهم هربا من الاضطهاد فى عهد داكيوس(ديسيوس) وخرجوا من الكهف فى عهد ثيودوسيوس الثانى١٠٠

فإذا علمنا أن مدة بقاء داكيوس فى حكم الامبراطورية هى من سنة ٢٤٩م إلى سنة ٢٥١م، وأن مدة بقاء ثيودوسيوس الثانى فى حكم الامبراطورية هى من سنة ٤٠٢م إلى سنة ٤٥٠م

فعلى ذلك تكون مدة بقاء أهل الكهف فى كهفهم على أقصى تقدير من أول حكم داكيوس سنة ٢٤٩م إلى آخر حكم ثيودسيوس الثانى سنة ٤٥٠م نحو ١٩٩ سنة وبالفعل تذهب الروايات المسيحية إلى أنهم مكثوا فى كهفهم نحو هذا بما لا يتعدى مائتى عام.

وعلى ذلك فإن قوله تعالى (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا)[١٠١] لا يمكن أن يكون من كلام أهل الكتاب لأن أحداً من أهل الكتاب لم يقل هذا فى أي رواية مسيحية على الإطلاق[١٠٢].

وعلى ذلك فإن قول الله عز وجل (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا)[١٠٣] هو رد قرآنى على الروايات المسيحية التى كانت منتشرة والتى جاء بها أهل الكتاب ليتحدوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فبين لهم القرآن الكريم خطأ رواياتهم وصححها لهم حيث ذكر أن مدة لبث أهل الكهف هى (٣٠٩ سنة) تحديدا وليس (٢٠٠ سنة) كما تقول الروايات المسيحية. وعلى ذلك فإنه إذا صح أن خروج أهل الكهف كان فى عهد حكم ثيودسيوس الثانى – كما تجمع الروايات المسيحية – الذى يبدأ تحديدا فى سنة (٤٠٨م) بحسب أقدم رواية – رواية السروجى– فإنه بالرجوع إلى الوراء (٣٠٩سنة) وهى المدة التى حددها القرآن فسيكون دخول الفتية إلى الكهف عام ١٠١م، أو بعده بسنوات قليلة، أى فى فترة حكم تراجان الذى حكم من سنة ٩٨م إلى سنة ١١٧م ، وعرف عنه اضطهاده الشديد للمسيحيين وليس فى فترة حكم داكيوس كما تقول الروايات المسيحية[١٠٤] .

لذلك فقول القرآن (وَازْدَادُوا تِسْعًا) يأتى كتأكيد من القرآن على تحديد المدة بدقة فى معرض الرد على روايات أهل الكتاب، وكذلك قوله فى ختام القصة (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ

مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)[١٠٥] يأتى كالرد على روايات المسيحية بالتأكيد على علم الله سبحانه الذى يعلم الغيب فى مقابل علم أهل الكتاب الذى ينقضه القرآن.

ومما يقوى القول بأن هذه الآيات جاءت رداً وتصحيحاً لما يقوله أهل الكتاب، هو أن القرآن ذكر فى بداية القصة أن الفتية مكثوا فى الكهف عدة سنين (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا)[١٠٦] ولم يكن هناك من مبرر لذكر عدد هذه السنين بدقة سوى أن يكون لغرض آخر خلاف ذكر أنهم لبثوا سنين عددا .

فكأن القرآن ذكر فى البداية أنهم مكثوا سنين كثيرة على الجملة لغرض بيان قدرة الله وما فى القصة من معجزة، ثم حدد فى ختام القصة عدد تلك السنين بغرض الرد على أهل الكتاب وإسقاط تحديهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسؤالهم له عن خبر هؤلاء الفتية، فأخبرهم القرآن بالقصة ثم أخبرهم بأكثر من هذا وهو خطؤهم فى تحديد المدة فبينه لهم، وختم ذلك بقوله (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)[١٠٧].

قد يكون مثل هذا الإشكال الذى عرضناه فى آية سورة الكهف هو الذى جعل بعض المفسرين لا يقبل بالاحتمالية فى كل المواضع، بل مال إلى ترجيح متكلم واحد ونفى الآخر.

وقد يكون ذلك أيضا هو الذى دفع الشيخ حسين آل عصفور لنفى التعددية ومحاولة إيجاد قاعدة لمثل هذه المواضع يمكن من خلاله تحديد المتكلم .

والقاعدة التى صاغها العصفور تقرر أن " إذا كانت الآيات فى مقام سرد حكاية أو حوار بين أطراف لابد من لفظة (قال) لتغيير جهة الكلام من

طرف لآخر ، وإذا خلا السياق من لفظة (قال) يبقى الكلام لقائله السابق"[١٠٨]

وقد سبق إلى تقرير هذه القاعدة كاظم الظواهرى فقال " ثبت أنه لم يرد فى القرآن قول نسب إلى غائب عن المشهد وحذف لفظ القول من صدره، بل لابد من إثباته ، لئلا يلتبس"[١٠٩]

وهذه القاعدة محاولة لحل هذا الإشكال إلا أنها غير مسلمة إذ يكفى فى نقضها أن نذكر مثالا واحدا لبيان عدم اطرادها وهو قوله تعالى (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[١١٠]، حيث انتقل الكلام من قول المرأة (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى) إلى قول الله عز وجل (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) دون ذكر لفظ (قال) بالرغم من كون الكلام سرد حكاية كما تقرر قاعدتهما.

الهوامش

1 – البقرة: ٢٦٠
2 – الإسراء: ٦١–٦٢
3 – النمل: ٢٩–٣٠
4 – الأنعام: ١٠٢–١٠٤
5 – البقرة: ١٢٧
6 – معانى القرآن: الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتى و محمد على النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨٠م، ١/ ٣٨٧
7 – السابق ٣٨٧/١
8 – السابق ٣٨٧/١
9 – الأعراف: ١٠٩ – ١١٢
10 – الشعراء: ٣٤–٣٧
11 – النمل: ٣٤
12 – يوسف: ٥١
13 – يوسف: ٥٢
14 – يس: ٥٢
15 – الأعراف: ١١٠
16 – تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ص٢٩٤–٢٩٥
17 – انظر على سبيل المثال: البغوى [معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) البغوي (محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود)، تحقيق محمد عبد الله النمر و عثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ٢٦٤/٣]، وابن جزى [التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزى (أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطى، تحقيق د . عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت، ط١،١٤١٦ هـ، ٤٠٥/١] ، وسيأتى الحديث عن الآية فى مواضع احتمالية المتكلم
18 – النمل: ٣٤
19 – يوسف: ٥٢
20 – يس: ٥٢
21 – البقرة: ٢٧٥

22 – ذكر الوجهين الرازى [مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : الرازى (فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ، ٧٨/٧]، وأبو حيان [البحر المحيط في التفسير: أبو حيان (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ، ٧٠٨/٢] ، والسمين الحلبى [الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبى (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم)، تحقيق د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق، ٦٣٣/٣]، والآلوسى [روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : الألوسى (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ٤٩/٢] ورجحوا جميعا الوجه الأول. وذكر الوجهين الإيجى [جامع البيان في تفسير القرآن: الإيجى (محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م، ٢٠٥/١] ولم يرجح أحدهما.

23 – آل عمران: ٣٦

24 – ذهب إلى الوجه الأول الزمخشرى [الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل: الزمخشرى (محمود بن عمر)، دار الريان للتراث ، تصحيح مصطفى حسين أحمد، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧، ٣٥٦/٢] ، والنسفى [مدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفى (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م، ٢٥٠/١]، وذهب إلى الوجه الثانى الواحدى [التفسير البسيط: الواحدى (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط١، ١٤٣٠ هـ، ١٩٦/٥]، وابن الجوزى [زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزى (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط١٤٢٢،١ هـ، ٢٧٦/١]، والرازى ٢٠٤/٨، والقرطبى [الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة ، ط٢، ١٣٨٤هـ /١٩٦٤ م، ٦٤/٥] ، وذكر الوجهين البيضاوى [أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوى (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تحقيق عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ، ١٤/٢] ولم يرجح أحدهما، وكذلك أبو السعود [إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ٢٩/٢]، والجاوى [مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: الجاوى (محمد بن عمر نووي، تحقيق محمد أمين الصناوى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٢٣/١] ، والقاسمى [محاسن التأويل: القاسمى (محمد جمال

الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ، ٣١١/٢]

25 – آل عمران: ٧٢–٧٣

26 – المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية (أبو محمد عبد الحق الغرناطى)، تحقيق أحمد صلاح الملاح ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ، ٢٦٤/٢ وما بعدها

27 – فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير: الشوكانى(محمد بن على بن محمد) ، دار الغد الجديد، المنصورة ، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٤٠٢/١

28 – النساء: ١٧٦

29 – التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس، ٢٨١/٣

30 – التحرير والتنوير، ٢٨٢/٣

31 – الأعراف :١٠٩ – ١١٢

32 – ذكر الوجهين الواحدى فى البسيط ٢٦٥/٩، والبغوى٢٦٣/٤، وابن عطية ٤٦٣/٢، وابن جزى ٢٩٦/١، وأبو السعود ٢٥٩/٣، والشوكانى٢٦٢/٢، والقاسمى ١٦٣/٥ .

33 – الأعراف: ١٧٢

34 – ذكر الآراء الطبرى [جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبرى (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، ٥٤٦/١٠]، والواحدى فى البسيط ٤٥٣/٩، والبغوى ٢٩٧/٤، وابن الجوزى ١٦٧/٢

35 – الأنفال: ٤٨

36 – ذكر الرأيين الواحدى فى البسيط ١٩٠/١٠، والرازى ٤٩١/١٥، والبيضاوى ٦٢/٣، وأبو حيان ٣٣٤/٥، وأبو السعود ٢٦/٤، والشوكانى ٣٦٦/٢.

37 – التوبة: ٤٦

38 – ذكر الوجوه جميعا الزمخشرى ٢٧٥/٣، وذكر بعضها جمع من المفسرين كالماوردى [النكت والعيون: الماوردى (أبو الحسن على بن حبيب البصرى) ، تحقيق خضر محمد خضر، دار الصفوة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ٣٦٨/٢]، ومقاتل بن سليمان [تفسير مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، ١٧٣/٢]

39 – يونس: ٧٧

40 – ذكر الوجهين الطبرى ورجح أن يكون المتكلم موسى عليه السلام ٢٣٨/١٢، وذكر الوجهين كذلك الزمخشرى ٣٦١/٣، والشوكانى ٥٢٨/٢.

41 – يوسف :٥١– ٥٣

42 – ذكر الرأيين الماوردى ٤٧/٣، وابن عطية ٢٥٤/٣، وابن الجوزى ٤٤٧/٢، والرازى ٤٦٨/١٨، والقرطبى ٢٠٩/١٠، والسمين الحلبى ٥١٤/٧، وانظر كذلك الزمخشرى ٤٨٠/٣، وتعليق ابن المنير عليه [الإنتصاف: ابن المنير (أحمد الإسكندرى) حاشية على الكشاف، دار الريان للتراث ٤٨٠/٣]

43 – يوسف :٦٥

44 – ذكر الرأيين الزمخشرى ٤٦٨/٣، والبيضاوى ١٦٩/٣، والشوكانى ٤٧/٣، والألوسى ١٣/٧، وانتقد أبو حيان رأى الزمخشرى ومنع أن يكون القائل يعقوب عليه السلام وذهب إلى أن "هذا كله تحميل للفظ القرآن ما يبعد تحميله، وفيه مخالفة الظاهر لغير دليل." ٢٩٦/٦

45 – إبراهيم :٢٢

46 – ذكر الرأيين الرازى٨٨/١٩، والبيضاوى ١٩٧/٣، والنسفى [مدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفى (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود)، تحقيق يوسف علي دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، ١٦٩/٢] وابن جزى ٤١١/١، والسمين الحلبى ٩٦/٨، وأبو السعود٤٢/٥، والشوكانى ١٢٤/٣، والألوسى١٩٨/٧.

47 – الكهف: ٢٣– ٢٦

48 – ذكر الرأيين الطبرى٢٢٩/١٥، والماوردى ٣٠٠/٣، والرازى٤٥٢/٢١، والبيضاوى ٢٧٨/٣.

49 – مريم: ٢٣–٢٦

50 – ذكر الرأيين الطبرى ٥٠٠/١٥، والماوردى٣٦٤/٣، والزمخشرى ١٢/٤، والرازى ٥٢٧/٢١، وابن كثير [تفسير القرآن العظيم: ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن عمر)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١ ، ١٤١٩ هـ، ١٩٨/٥]

51 – طه: ٧٠–٧٦

52 – ذكر الرأيين الواحدى ٤٦٨/١٤، والبغوى ٢٨٦/٦، والقرطبى ٢٢٥/١٢، والشوكانى ٤٤٥/٣، وذكرهما ابن عاشور واستبعد أن يكون من كلام السحرة لأنه" لم يحك نظيره عنهم في نظائر هذه القصة" ٢٦٨/١٧. وقد يقال إن القرينة العقلية تستلزم أن يكون هذا الكلام – مع ما فيه من أصول الاعتقاد– صادرا عن متكلم ذى علم تام، مما لا يتوافق مع حال السحرة، وقد أسلموا من فورهم، فلا يتأتى منهم هذا العلم وقد كانوا كافرين منذ وقت قليل.

53 – النمل :٣٤

54 – ذكر الرأيين الماوردى٤/٢٠٨، والزمخشرى ٤/٣٦٥، والرازى، والسمين الحلبى ٩/٦١١، والإيجى ٣/٢١٦، وأبو السعود ٦/٢٨٤، والآلوسى ١٠/١٩٣.

55 – النمل: ٤٢

56 – ذكر الرأيين الواحدى١٧/٢٤٨، والبغوى ٧/١٦٦، والزمخشرى ٤/٣٦٩، وابن الجوزى ٣/٣٦٤، والرازى ٢٤/٥٥٨، والبيضاوى ٤/١٦١، والنسفى ٢/٦٠٨.

57 – يس :٥٢

58 – ذكر الآراء جميعا ابن عطية٤/٤٥٨، وابن جزى ٢/١٨٤، وأبو حيان ٩/٧٤.

59 – الزخرف :٧٧– ٧٨

60 – ذكر الرأيين الجاوى ٢/ ٢٨٨.

61 – الدخان :١٠–١٤

62 – ذكر الرأيين الزمخشرى ٥/٢٧٢، والقرطبى ١٧/١٣٠، وابن عطية ٥/٦٩، ونقل عنه الطاهر بن عاشور قوله ٢٦/٢٨٩، وابن جزى ٢/٢٦٧.

63 – الصافات: ١٠٦

64 – القمر: ٩

65 – ذكر الرأيين الزمخشرى ٥/٤٣٣، وابن عطية ٥/٢١٣، والرازى ٢٩/٢٩٥، والبيضاوى ٥/١٦٥، والنسفى ٣/٤٠١، وابن كثير٧/٤٤١.

66 – الفجر: ٢٧– ٣٠

67 – ذكر الرأيين ابن عاشور٣١/٣٤١، فذكر أن الكلام كله يجوز أن يكون صادراً من الله –عز وجل– ، ويجوز أن تكون بدايته من الملائكة – كما جاء فى بعض الروايات – ثم عطف عليه كلام الله (فادخلى فى عبادى) لعدم جواز صدور هذا الخطاب الأخير من الملائكة . وقد ذكر الزمخشرى ٤/٣٦٥، والنسفى ٣/٤٦٢، وأبو السعود ٩/١٥٩ أنه قول الله وحده إما بالذات كما كلم موسى – عليه السلام – وإما على لسان ملك.

68 – البقرة: ٢٧٥

69 – آل عمران: ٣٦

70 – ذكر جمع من المفسرين قراءة أخرى للآية وهى (والله أعلم بما وضعتُ) بتاء الفاعل وتكون الآية على ذلك من كلام أم مريم، وترجح القراءة أن يكون قوله (وليس الذكر كالأنثى) من كلام أم مريم كذلك [انظر الماوردى، والواحدى وغيرهما]، غير أن الطبرى رفض هذه القراءة واعتبرها شاذة ٥/٣٣٦ .

71 – لا يخلو هذا الرأى من إشكال لغوى عند بعض المفسرين حيث أتت جملة اعتراضية (وليس الذكر كالأنثى) بعد جملة اعتراضية (والله أعلم بما وضعت).

72 – آل عمران: ٧٢–٧٣

73 – الأعراف: ١٠٩– ١١٢

74 – يونس: ٧٧
75 – التوبة: ٤٦
76 – النمل: ٤٢
77 – الأعراف: ١٧٢
78 – الزخرف: ٧٧-٧٨
79 – مريم: ٢٣-٢٦
80 – الفجر: ٢٧- ٣٠
81 – الكهف: ٢٣- ٢٦
82 – يس: ٥٢
83 – الدخان :١٠-١٤
84 – يوسف :٥١- ٥٣
85 – طه: ٧٠-٧٦
86 – الأنفال: ٤٨
87 – إبراهيم: ٢٢
88 – يوسف: ٦٥
89 – النمل: ٣٤
90 – القمر: ٩
91 – آل عمران :٣٦
92 – الطبرى، ٣٣٤/٦
93 – مراح لبيد، ١٢٣/١
94 – الكشاف، ٣٥٦/١
95 – التسهيل لعلوم التنزيل، ١٥٠/١
96 – الدر المصون: السمين الحلبى، ٣٥٠/٣، وانظر كذلك مناقشة هذا التشبيه عند الألوسى ١٣٠/٢.
97 – نذكر فى هذا المقام بأيقونة (البطة / الأرنب) التى تحتمل فى ذاتها الصورتين كلتيهما، ومع ذلك فإن رؤية الأيقونة وما تتضمنه تختلف باختلاف المشاهد نفسه. وقد أظهرت دراسات كل من لودفيج فيتجنشتاين وجوزيف جاسترو فى هذا المجال ما يمكن أن يعيننا على فهم اختلاف المفسرين فى تلقى (احتمالية المتكلم).
98 – الكهف: ٢٣- ٢٦
99 – قد يحاول البعض الجمع بين القولين بأن يقول إنه من كلام أهل الكتاب وبين الله عز وجل بعدها علمه بما يقولون. وهذا الرأى – فضلا عن عدم ملاءمته لسياق الآيات

وأسلوبها– فإن البحث التاريخى أيضا ينفيه، حيث إنه لم يثبت أن أحدا من أهل الكتاب قد قال هذا بما ينفى إمكانية الجمع كما سيأتى .

100 – انظر اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها: إدوارد جيبون ، ترجمة د محمد سليم سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٧م ، ٢/ ١٧٨–١٨٠

101 – الكهف: ٢٥

102 – هناك روايات مسيحية أخرى ظهرت بعد رواية السروجى فمنها رواية يونانية من القرن العاشر ورواية لاتينية مأخوذة عن السريانية كذلك لكنها تتفق على عدم بقاء الفتية فى الكهف أكثر من مائتى سنة . [انظر: الميزان فى تفسير القرآن: الطباطبائى، مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، قم، ط١، ١٤٢٥هـ /٢٤٠٠م، ١٣/ ٢٨٥].

103 – الكهف: ٢٥

104 – قامت دائرة الآثار الأردنية باكتشاف الكهف عام ١٩٦٣ م ، ونشر رفيق وفا الدجانى أحد أعضاء الفريق الأثرى كتابه (اكتشاف كهف أهل الكهف) عام ١٩٦٤م وذكر فيه أن نتائج الكشوف انتهت إلى أن الفتية دخلوا الكهف فى عهد تراجان وخرجوا فى عهد ثيودسيوس كما أوضحنا بما يفيد فى النهاية أن قوله تعالى (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) [الكهف :٢٥] هو تصحيح من القرآن لروايات أهل الكتاب كما ذكرنا بما لايبقى وجها للصواب للرأى القائل بأن هذا من كلام أهل الكتاب وأن القرآن رفضه بقوله (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) [الكهف: ٢٦].[انظر اكتشاف كهف أهل الكهف: رفيق وفا الدجانى، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٦٤م/١٣٨٤هـ، المفصل فى تاريخ العرب: جواد على، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ٥/٧٣].

105 – الكهف: ٢٦

106 – الكهف :١١

107 – الكهف: ٢٦

108 – إثارات قرآنية: حسين الشيخ أحمد آل عصفور، إصدارات حوزة العلمين، ط ٢، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م، ١/ ٢١

109 – بدائع الإضمار القصصى فى القرآن الكريم: كاظم الظواهرى، ط١، ١٩٩١م/ ١٤١٢هـ، ص ١٩

110 – آل عمران :٣٦

الخاتمة ونتائج البحث

لقد حاول البحث أن يرصد ظاهرة احتمالية المتكلم، وأن يبحث عن إجابات للأسئلة المعرفية التى تثيرها هذه الظاهرة: هل احتمالية المتكلم ظاهرة قرآنية قصد إليها القرآن أم إنها ظاهرة تفسيرية رشحت من اختلاف اجتهادات المفسرين حول تحديد المتكلم ؟

وإذا كانت هذه الظاهرة ظاهرة قرآنية فما مقصد القرآن منها؟

ولماذا يعمد القرآن إلى إمكانية تعدد المتكلمين بالرغم مما بينهم من اتساع، بل تناقض فى بعض الأحيان؟

وإذا كانت هذه الظاهرة ظاهرة تفسيرية وليست قرآنية فهل يمكن وضع ضوابط للترجيح بين آراء المفسرين والوصول إلى المتكلم الذى قصده القرآن الكريم؟

وقد استطاع البحث أن يخلص إلى النتائج التالية :

أولا: تم الوقوف على ما يزيد عن عشرين موضعا فى القرآن الكريم ظهر فيها احتمالية أن تنسب فيها الأقوال إلى غير متكلم واحد .

ثانيا: استخدم القرآن آليات متعددة سمحت للمتلقى أن يكون عنده احتمالية أن تنسب الأقوال إلى غير قائل، فمن تلك الآليات:

أ- الجملة الاعتراضية

ب- تعميم الفاعل: ومن أساليبه بناء الفعل (قال) للمجهول، وإضمار الفاعل مع عودته على مذكور محتمل، وإضماره دون أن يعود الضمير على مذكور سابق، و استخدام اسم موصول دال على العموم.

ج- الابتداء بالقول دون ذكر المتكلم

د- التذييل

ثالثا: كان لهذه الظاهرة القرآنية أثر فى التفسير، إذ يختلف التفسير بحسب ترجيح المفسر أحد المتكلمين المحتملين.

رابعا: اختلف موقف المفسرين من احتمالية المتكلم فقبل بعضهم كل احتمالات المتكلم دون ترجيح بينها ، ورجح بعضهم أحد المتكلمين ورفض ما دون ذلك من الاحتمالات.

خامسا: انتهى البحث إلى ضرورة الترجيح فى بعض المواضع التى يتعذر فيها الجمع بين المتكلمين المحتملين.

سادسا: بالرغم من محاولة بعض الباحثين وضع قواعد للترجيح بين المتكلمين فقد ظهر عدم دقة هذه القواعد .

المصادر والمراجع

– إثارات قرآنية: حسين الشيخ أحمد آل عصفور، إصدارات حوزة العلمين، ط ٢، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود(محمد بن محمد بن مصطفى)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت

– اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها: إدوارد جيبون، ترجمة د. محمد سليم سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٧م

– اكتشاف كهف أهل الكهف: رفيق وفا الدجانى، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٦٤م/١٣٨٤هـ

– الانتصاف: ابن المنير (أحمد الإسكندرى) حاشية على الكشاف، دار الريان للتراث، تصحيح مصطفى حسين أحمد، ط٣ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧

– أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوى (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تحقيق عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ

– البحر المحيط في التفسير: أبو حيان (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ

– بدائع الإضمار القصصى فى القرآن الكريم: كاظم الظواهرى، ط١، ١٩٩١م/ ١٤١٢هـ

– تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري) ، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م

– التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس

– التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزى (أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطى، تحقيق د . عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت، ط١،١٤١٦هـ

– التفسير البسيط: الواحدى (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط١، ١٤٣٠ هـ

– تفسير القرآن العظيم: ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١ ، ١٤١٩ هـ

– تفسير مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبرى (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ /٢٠٠١ م

– جامع البيان في تفسير القرآن: الإيجى (محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م

– الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصار، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة ، ط٢، ١٣٨٤هـ /١٩٦٤م

– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبى (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم)، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : الألوسى (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤١٥هـ

– زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزى (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ

فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير: الشوكانى(محمد بن على بن محمد) ، دار الغد الجديد، المنصورة ، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل: الزمخشرى (محمود بن عمر)، دار الريان للتراث، – المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية (أبو محمد عبد الحق الغرناطى)، تحقيق أحمد صلاح الملاح ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م

– محاسن التأويل: القاسمى (محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ

– مدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفى (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م

– مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: الجاوى (محمد بن عمر نووي، تحقيق محمد أمين الصناوى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ

– معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود)، تحقيق محمد عبد الله النمر و عثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

– معانى القرآن: الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي)، تحقيق أحمد يوسف نجاتى و محمد على النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨٠م

– مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : الرازى (فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣ ، ١٤٢٠ هـ

– المفصل فى تاريخ العرب: جواد على، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

– الميزان فى تفسير القرآن: الطباطبائى، مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، قم، ط١، ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م

– النكت والعيون: الماوردى (أبو الحسن على بن حبيب البصرى)، تحقيق خضر محمد خضر، دار الصفوة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م